والسادسة من عمري حين دخلتها. وكان من عادتنا قبل ابتداء الدرس في الصباح أن نلعب على سطحها. وذات صباح ذهبت إلى المدرسة باكراً قبل شروق الشمس. فما عتّم أن اجتمع على سطحها رهط من التلامذة أكثرهم أكبر مني سناً، وأحدهم، وهو أكبرنا جميعاً، شبه أبله. ثمّ أطلّت الشمس من فوق صنين فامتدت خيالاتنا طويلة، بعيدة. وخطر للأبله أن نلعب لعبة يحاول فيها الواحد أن يدوس برجله خيال رأس الآخر فلا يمكّنه من ذلك. وهاجمني الأبله حتى ضايقني. فرحت أتراجع من وجهه يميناً وشمالاً، وإلى الأمام وإلى الوراء. فما دريت إلّا وقد هويت عن السطح إلى الطريق المارّ من أمام المدرسة. وكان ترابه كأنّه الاسفلت أو أقسى. وعندما أفقت من غيبوبتي بعد ساعات وجدتني في بيت غير بيتنا وقد لففت أمّ رأسي حتى أخمصيّ بجلد خروف ذبح خصيصاً لتلك الغاية، ولم يترك فيه منفذ إلاّ لعينيّ وأنفي. وعندما أُخرجت من قماطي الغريب بعد يومين أو ثلاثة أيّام وجدتني سالماً ولا خدش في جسدي على الإطلاق.

من الأكيد أنّني ما دبّرت لنفسي تلك الوقعة ولا أحد من الناس دبّرها لي. فأيّ يدٍ دبّرتها لي ثمّ دبّرت لي النجاة منها؟ ولماذا؟